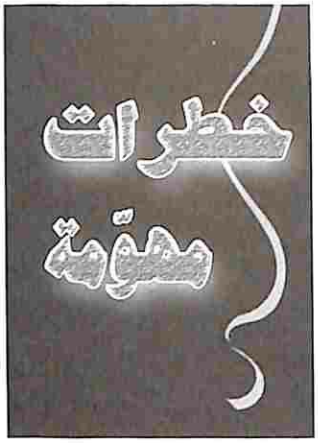


بقلم: فوزية العمري
السعودية

كان صباحاً شاذا عن كل الأيام الفائتة، الهالكة منذ شهرين ..

صباحا مطت الأحلام فيه شفتيها وتثاءبت، وتدلت الأماني بخيوط الوهن .

أسندت جسدي على أشلاء خاطري الممزق، فتسربت بين عيني طيوف الماضي رحيقا شهيا .. أبى الفراق إلا تلويثه بمرارته الحارقة .

فركت عيني بقوة عسى أن يغادرني الكسل، لكن ذلك لم يحدث، نهضت متثاقلة وأنا ألتفت إلى الوراء تاركة قلبي ينبض وحيدا ..

* * *

تؤلمك الغربة وماهي إلا صهر لمبادئك وصقل لمرايا ذاتك .. الغربة تصنع خبزك وتنسج ثوبك، وتكشف الجيد وما ساء من خلقك.

أتشكين من الغربة ؟! وهي تغربل أنانيتك ليترسب في القاع خلق حسن .

وصبر وركاز إصرار تثبت عزمك في غربتك وإن كانت تقضم أيام الفرح، وتلتوي على القلب لتعتصر منه رباطة جأشه، وتنتزع فجر شموخه لترافقه دموعه في كل محطة حزن .. فهي غربة هينة سرعان ما تداس خشونتها بأطلال الذكريات، وتزول آهاتها بالعودة إلى الأحبة، فلا يتبقى في جعبتك إلا طيفها يدور في دوامة الماضي.

غربتك تموت أشواكها حين يلتف شذا اللقاء حول أنفك .. لكن ما تقول تلك التي تتلوى ألما وهي بين أهلها وذويها، وغربة روحها أقسى غربة، يأسرها الحنين إلى أضواء حلم لينير به متاهات العمر المدججة بالخوف والقلق .

هي غريبة تطارد نور آمالها، يصرعها اليأس ويستولي على حرية فكرها مقلاع العادات والتقاليد الجاهلية، تستأصل ثباتها بمطارق الشوك.

* * *

طوق من الحنين يلتف حول عنق الذكريات، يحاصر مقاومة الهروب يدلف من بين شقوق المشاعر ليبسط نفوذه على الفؤاد، ويستولي على ما تبقى من تفكير متزن .

عفوا عزيزتي ! ربما لا تكون لقطرات الشوق التي جرفتني إليك أي معنى في مساحة أفراحك .

ربما يكون لصوتي صدى ألم في جدران حياتك .. لكن اعذريني، فقد سافرت بي صور الماضي إلى حيث تسكنين .. إلى حيث استقرت نفسك .

لقد طاف بي ليلة البارحة طائف عظيم وحشد كبير ممن يتوسد الماضي، فمضيت أتلفت يمنة ويسرة ويتلفت معي عقلي وقلبي ودموعي .

حين انتهت رحلتي عدت إلى حاضري وأنات مقطوعة تتكئ على الخاطر .

يا أخية : عندما رحلت لم يكن في نفسي غير المحبة والاحترام لك، وإلى الآن ما تزال هذه الأحاسيس نزيلة في أعماق القلب .

لقد حاولت مدافعة هذا التيار القوي من الحنين، لكن المشاعر المرهفة لم تسعفني، فلقد وقفت ضدي فاستسلمت لانتصار الصدق وعظمة الإخاء ليشقيا بكلماتي .. وعزائي أن المشاعر النظيفة الطاهرة تتكفل الأيام بالحفاظ عليها .

كنت مشتاقة وحنيني يسبقني إليك .. كنت سعيدة وسعادتي تتوسد فكري، وتملأ سلة العمر بذكريات ثمينة، لكن سعادتي انفلقت بذورها، وتكسرت مصابيح الفرح حين حادثتك، فقد طفت بأسئلتك بين جميع المعارف، وما حلقت في أجوائي .. كأنك تفرين من الإيناس بأخباري وسماع أنبائي .

كنت أرغب في ملء جعبتي بمشاعر وأحاسيس صادقة، لكن المكالمة غلب عليها طابع البرود، وانغرس في أحشائها ثلج اللامبالاة. بعدها سرعان ما فقدت المكالمة اللهفة التي كانت تصاحبها!.

شيء ما يتوغل في مجرى طموحي .. يعكر على نفسي التواقة للمجد المؤملة في غد .

موازيني تعطلت عن تمييز الحقيقة . إني أتوه في ضباب الحيرة، تتقاذفني هواجس مجنونة، ركلات القلق تزداد في خاصرة الأمل، تسددها أشواك الخوف على نهار يدوسه ظلام نفسي!.. ■